

الإسم واللقب: حمزة سليمان

الجامعة: جامعة الوادي

الدرجة العلمية: طالب دكتوراه السنة الثالث –علوم إسلامية تخصص عقيدة-

المؤسسة: جامعة الوادي

المخبر: إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية

العنوان: عين التوتة-باتنة

البريد الإلكتروني: hamzaslimane24@gmail.com

Slimane-hamza@univ-eloued.dz

رقم الهاتف: 0668888650

عنوان الملتقى:

ظاهرة الإلحاد المعاصر عوامل التشكل.. وسبل المواجهة.

عنوان المداخلة:

المحور (1): مفهوم الإلحاد المعاصر ولوازمه العقلية.

مقدمة:

شهدت القرون الأخيرة تنامي وتزايد رهيب في عدد الملحدين تزامنا مع التطور العلمي والتكنولوجي الذي شهدته البشرية في الكثير من المجالات خاصة التي تعتمد على المنهج التجريبي الحسي، وهذا ما جعل المنظرين للفكر الإلحادي المعاصر يزعمون أن هذا التطور العلمي جعلنا نفهم الكثير من الأمور التي كنا نجهلها ونفسرها تفسيراً غيبياً دون دليل علمي، وهذا ما سيؤدي حسبهم إلى زوال الأديان والرؤى التي تبني التفسيرات الغيبية الميتافيزيقية واندثارها، لتحل محلها الرؤية المادية البحتة التي تعتمد على التفسيرات الطبيعية وتستبعد كل تفسير ما ورائي.

ولا ينكر إلا جاحد أو مكابر النتائج المتقدمة التي حققتها البشرية بفضل اتباع المنهج التجريبي، والتطور المادي الكبير في شتى مجالات الحياة، لكن الاقتصار عليه كمنهج وحيد للوصول للمعرفة يطرح اشكالات كثيرة.

ويدعي أنصار هذه الفلسفة الإلحادية أن مذهبهم هذا موافق للعقل السليم والآراء التي يتبناها هؤلاء الملحدون هي نابعة من المنطق، لكن عند التعمق في أعماق هذه الآراء وتحليلها نجد أن أغلب الملحدون لا يدركون لوازم ومآلات منهجهم ونظرية المعرفة التي يتبنونها.

1- الإشكالية:

انطلاقاً من هذا فإن إشكالية هذا المبحث هي: ماهو مفهوم الإلحاد المعاصر أو الإلحاد الجديد؟ وماهي اللوازم التي تبني عليه؟

2- أهمية الدراسة:

يكتسي هذا البحث أهمية بالغة، ذلك أن الكثير من الشباب المسلم اليوم تأثروا بالخطابات المنتشرة لأئمة الإلحاد، وأعداد معتنقي هذه الفلسفة في تزايد مستمر كل يوم، ومعرفة مآلات ولوازم هذه الرؤية الكونية من شأنه أن يساهم في الحد والقضاء عليها، ووضعها في مكانها المناسب، خاصة إذا علمنا أن تبني هذه الرؤية الإلحادية يجعل الإنسان يقع في مغالطات منطقية كثيرة كما سنبين في هذا البحث.

3- أهداف الدراسة:

- التعريف بالإلحاد المعاصر وفهم حقيقته وأهم ركائزه.
- بيان مخالفة الإلحاد المعاصر للمبادئ العقلية الضرورية.
- إبراز اللوازم العقلية ومآلات الإلحاد المعاصر.

4- منهجية الدراسة:

انتهجنا في هذا البحث المنهج الوصفي حيث قمنا بوصف ظاهرة الإلحاد الجديد وتعريفها وتوضيح أهم ركائزها، كما اعتمدنا على المنهج النقدي في بيان ثغرات هذه الفلسفة الإلحادية وتنفيذ أقوالها وبيان الإلزامات العقلية الناجمة عن تبني هذه الفلسفة.

5- خطة الدراسة:

المطلب الأول: تعريف الإلحاد المعاصر

1- التعريف اللغوي

2- التعريف الإصطلاحي

المطلب الثاني: اللوازم العقلية لفلسفة الإلحاد المعاصر.

1- إنكار العقل

2- إنكار حرية الإرادة

3- إنكار كرامة الإنسان

المطلب الأول: تعريف الإلحاد المعاصر

يعتبر مصطلح الإلحاد المعاصر أو الإلحاد الجديد من المصطلحات التي ظهرت مع بداية القرن الواحد والعشرين، ولعل أول من وضع هذا المصطلح هو "جيفري وولف" في مقابلة نشرها سنة 2006م في مجلة "وايرد" البريطانية بعنوان: "كنيسة غير المؤمنين"⁽¹⁾.

1- تعريف الإلحاد لغة:

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس في المعنى اللغوي للإلحاد أنه: "اللام والحاء والdal أصل يدل على ميل عن استقامة، يقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريق الحق والإيمان، وسمي اللحد لأنه مائل في أحد جانبي الحدث"⁽²⁾.

وجاء في لسان العرب لابن منظور عن ابن السكيت أن الملحد هو: "العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه، يقال قد ألحد في الدين ولحد أي حاد عنه"⁽³⁾، وجاء فيه أن أصل الإلحاد هو: "الميل والعدول عن الشيء"⁽⁴⁾.

وجاء في المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: "لحد بلسانه إلى كذا مال... وألحد فلان مال عن الحق"⁽⁵⁾.

والملاحظ من التعاريف اللغوية أنها تكاد تكون مجمعة على أن المعنى اللغوي للإلحاد يدور حول الميل عن القصد، ومجانبة الحق، ولعل تعريف الإلحاد بهذا المعنى فيه اقرار ضمني بأن الإلحاد بعيد عن الصواب، في حين نلاحظ أن مفهوم الإلحاد في الاصطلاح يأخذ منحى آخر.

(1) انظر: عبد الله العجيري، ميليشيا الإلحاد، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية، ط2، 1435هـ-2014م، ص 17.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج5، ص236.

(3) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، المجلد الثالث، ص388.

(4) المرجع نفسه، ص389.

(5) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ص448.

2- الإلحاد الجديد في الاصطلاح:

يُعرف الإلحاد بأنه: "كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق هذا الكون سبحانه وتعالى. سواء أكان عند المتقدمين من الدهرية أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيين والماركسيين بمعنى أن وصف الإلحاد يشمل كل من لم يؤمن بالله تعالى ويزعم أن الكون وجد بذاته في الأزل نتيجة تفاعلات جاءت عن طريق الصدفة دون تحديد وقت لها واعتقاد أن ما وصل إليه الإنسان منذ أن وجد على امتداد التاريخ من أحوال في كل شؤونه إنما وجد عن طريق التطور لا أن هناك قوة إلهية تدبره وتتصرف فيه"⁽¹⁾

ويرى جورج طرايشي أن الإلحاد يمكن أن يعرف بأنه: "موقف أو مذهب ينفي وجود الله، سواء أكان هذا النفي ضمنياً، أم معلناً، نسبياً أم مطلقاً، سلبياً أم إيجابياً"⁽²⁾

ويعرف بأنه: "مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى، فيدعي الملحدون بأن الكون وُجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت"⁽³⁾.

ونلاحظ أن هذه التعاريف تتفق على أن الإلحاد هو مذهب أو تصور للوجود ينفي وينكر الخالق أو الموجد أو السبب الأول للكون.

وجاء في الموسوعة الفلسفية لرونثال يودين أن الإلحاد هو: "نسق من الآراء التي ترفض الاعتقاد بما يتجاوز الطبيعة (الأرواح والآلهة والحياة بعد الموت، الخ) ويفسر المذهب الإلحادي مصادر الدين وأسباب

⁽¹⁾أغالب بن علي عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المكتبة العصرية الذهبية، ط1، 1427هـ-2006م، ص 1003.

⁽²⁾جورج طرايشي، حرية الاعتقاد الديني، تصنيف وتقديم: محمد كامل الخطيب، دار ورد للنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط1، 2005م، ص 388.

⁽³⁾شحاتة صقر، أوهام الملحدين أوهى من بيت العنكبوت، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية، ص 17.

ظهوره، وينتقد الاعتقادات الدينية القطعية من وجهة نظر الدراسة العلمية للكون... وقد ظهر المذهب الإلحادي وتطور مع ازدياد المعرفة العلمية⁽¹⁾

ونلاحظ أن هذا التعريف أشمل للإلحاد وأكثرها تعبيراً على الإلحاد الجديد أو الإلحاد المعاصر، ويُقصد بالمعرفة العلمية التي ظهر وتطور المذهب الإلحادي عليها هي تلك التي تقوم على المنهج الحسي التجريبي البحث.

المطلب الثاني: الوازم العقلية لفلسفة الإلحاد المعاصر

يظن كثير من الملحدّين أن إلحادهم هو مجرد إنكار لوجود الإله وإنكار كل ما هو غيبي، والإيمان أو التصديق فقط بكل ما هو قابل للتجربة العلمية، أو كل ما هو حسي مادي، وهذا التصور له لوازم عديدة يجحدها هؤلاء الملاحدة مما يجعلهم يقعون في تناقضات صارخة، يقول سامي عامري في كتابه (الإلحاد في مواجهة نفسه): "إن حسن بيان حقيقة الإلحاد كما هو، كاف لتقدم الملحد مدخلا عقليا ونفسيا لإقامة قراءة نقدية لمعتقدده، ولكن يبقى الإشكال، كل الإشكال، في قدرة الملحدّين على فهم إلحادهم؛ فإن عامتهم في عجز عن معرفة مذهبهم"⁽²⁾ ونحن في هذا البحث سنحاول أن نعرّف الملحد بحقيقة معتقده وبعض مآلات ولوازم الفلسفة التي يتبناها.

1- إنكار العقل:

علّمنا من تعريف الإلحاد أنه فلسفة مادية تنكر أي تفسير غيبي ميتافيزيقي، ويرى أنصار هذا التصور أن العقل ما هو إلا تفاعلات كيميائية وكهربائية في الدماغ، فهذا المنظور المادي الدارويني يرجع "كل ما يتمتع به الإنسان من خصوصية عقلية تميزه عن باقي الكائنات إلى فوارق كمية، أي أنها زيادة في (مقدار) الوظائف التي تمارسها تلك الكائنات بالفعل، ويرجع الماديون هذه الزيادة لعمليات تطورية عشوائية أدت

(1) رونتال يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 467.

(2) سامي عامري، الإلحاد في مواجهة نفسه، رواسخ، ص 17.

إلى زيادة حجم وتعقيد القشرة المخية، ومن ثم يعتبرون أن العقل نشاط مباشر للمخ يقوم به كما تقوم الكلى بإفراز البول وكما يفرز الكبد الصفراء!"⁽¹⁾

ورغم إعلان الرئيس الأمريكي بوش أن العقد الأخير من القرن العشرين سيكون عقد أبحاث الدماغ فإن الأبحاث العلمية في المجال لم تتقدم خطوة واحدة للأمام وبقينا عاجزين عن إدراك ماهية العقل والوعي كما يقول أستاذ علم النفس ستيفن مورس⁽²⁾.

ويرى الملاحدة أن إنكارهم لوجود الله مبناه النظر وتتبع الأدلة العقلية، ولا يشك الملاحدة الشعبون أن أئمة الإلحاد الذين يتبعونهم ويقتفون آثارهم أعقل العاقلين، وأن العقل هو الذي جعلهم يلحدون ولولا العقل لما ألد الملحد، لكن عند التحقيق فإن الإلحاد المادي يلزم منه ألا يكون هناك عقل⁽³⁾، وهذا ما بينه محمد باقر الصدر في نقده للمنهج التجريبي، حيث ذكر أن الإنسان يمتلك مبادئ عقلية ضرورية لا يمكن للتجربة إثباتها، كمبدأ العلية الذي عجزت النظرية الحسية عن إعطاء تعليل صحيح لها كفكرة تصورية، وعجز المذهب التجريبي عن البرهنة عليها بصفتها مبدأ وفكرة تصديقية؛ فالتجربة مهما كانت دقيقة لا يمكنها بيان سببية ظاهرتين أو الضرورة القائمة بينهما⁽⁴⁾، وقد خلص إلى أن المذهب التجريبي يؤدي حتما إلى إسقاط مبدأ العلية، والعجز عن إثبات علاقات ضرورية بين الأشياء، وإذا سقط مبدأ العلية انحارت جميع العلوم الطبيعية، باعتبار ارتكازها عليه⁽⁵⁾، ولا شك أن الإلتزام بالمنهج التجريبي كمصدر وحيد للمعرفة كما هو الحال عند الملحدين الجدد يلزم منه إسقاط مبدأ العلية كما وضحنا والمبادئ العقلية الضرورية المعروفة، ولهذا نجد الكثير من الملحدين بسبب عدم اهتمامهم بهذه المباحث يقعون في الجمع بين التقيضين، وهو من المبادئ العقلية الضرورية التي لا يمكن للإنسان أن يدفعها عنها نفسه، وهي مغروسة في فطرة الإنسان.

(1) عمرو شريف، خرافة الإلحاد، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 1435هـ-2014م، ص 247.

(2) انظر: هيثم طلعت، كهنة الإلحاد الجديد، تقديم: عبد الله بن سعيد الشهري، ص 16.

(3) المرجع نفسه، ص 58، بتصرف.

(4) انظر: محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص 121.

(5) المرجع نفسه، ص 123.

والمعارف تنقسم إلى ضرورية ونظرية، ولا بد لإثبات صدق المعارف النظرية من مستند تستند إليه، وهذا المستند لا يخلو إما أن يكون القضية النظرية نفسها التي يراد إثباتها، وإما أن تكون قضية أخرى، فإن كانت هي نفسها بطلت؛ لأن هذا يؤدي إلى إثبات الشيء بنفسه وهو الدور الممتنع، وإما أن يكون المستند قضية أخرى، وإذا فرضنا أنها نظرية، فهي تحتاج إلى مستند آخر، وهكذا إلى مالا نهاية، وهذا يؤدي للتسلسل الممتنع، وهذا يؤدي لانتفاء الوصول للعلم اليقيني⁽¹⁾.

وبناء على ما سبق فإن "المعارف الإنسانية لا بد فيها من الاستناد إلى الضرورات العقلية التي ينتهي إليها الاستدلال، فإن ثبوت تلك الضروريات في الواقع لا يمكن تصوره إلا مع وجود المطلق، فالنسبي لا يمكن أن يكون مستندا لثبوت المطلق؛ لأن فاقده الشيء لا يعطيه، ولا يوجد مطلق في الوجود إلا الله تعالى، والمنكر لوجود الله لا يمكنه أن يسلم بوجود المعاني المطلقة؛ لأن كل ما يحصله بحسه وعقله الإنساني القاصر لا يكون إلا نسبياً"⁽²⁾

وهذا يثبت أن الإيمان بوجود الخالق ضروري لبناء المعرفة الإنسانية، وإنكار وجوده يلزمه إنكار العقل، وإنكار إمكان الوصول للمعرفة، وإلا فإن المرء سيقع في التناقض.

وينقل لنا سامي عامري أقوال بعض أعلام الإلحاد الذين اعترفوا بالإشكالات واللوازم التي تتأتى من التفسيرات التجريبية لظاهرة العقل والمتمثلة في الداروينية أو نظرية التطور⁽³⁾، فهذا توماس ناجل الفيلسوف الملحد يعترف بأن القول بتفسير نشأة الإنسان حسب نظرية التطور الداروينية يلزم منه الشكوك وعد الثقة في نتائج العلوم، يقول: "لن يكون هناك سبب للثقة في نتائج الرياضيات والعلوم، وما كانت الفرضية التطورية معتمدة على العقل؛ فستكون بذلك ضرورة مقبوضة لنفسها"⁽⁴⁾.

(1) انظر: سلطان بن عبد الرحمن العميري، ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية، ط2، 1439هـ-2018م، ج2، ص 17.

(2) سلطان بن عبد الرحمن العميري، ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، مرجع سابق، ص18.

(3) سامي عامري، الإلحاد في مواجهة نفسه، ص 60، 61.

(4) Thamas Nagel , The Last Word(Oxford : Oxford University Press , 2009), p.135

ويرى ريشترارد دوكنز نبي الإلحاد الجديد ككثير من الملاحدة أن عقلنا لم يتطور من أجل تطلب الحقائق أو الكشف عن جوهر الوجود، وإنما تطور فقط ليبقى جنسنا على قيد الحياة، يقول: "نحن كائنات متطورة عن قرده، وقد صممت أدمغتنا فقط لفهم التفاصيل الدنيوية عن كيفية البقاء على قيد الحياة في السافانا الإفريقية في العصر الحجري"⁽¹⁾. وإذا كانت أدمغتنا تطورت فقط من أجل إبقاءنا على قيد الحياة، وكانت الحقائق مجرد وهم، بطل المعنى والغاية الأسمى من الوجود وهو الأمر الذي كان تحت إجماع العقلاء والفلاسفة وأصحاب الأديان قديما.

2- إنكار حرية الإرادة:

الإنسان في الإسلام هو ذلك الكائن الحر بعقله، القادر المرید، الذي لا تحكمه الجبرية المادية، والذي يملك الاختيار بين الممكنات عن وعي، وهذا الذي جعله يتميز ويرتقي على سائر الكائنات ويترفع على عرشها، هو ذلك الكائن القادر على الإحسان والإفساد، المختار بين الإيمان والكفر، والمسلم يؤمن بأن حريته وقدرته على الاختيار تتجاوز أن تكون مجرد عمل ذرات الدماغ، فهو يؤمن بالنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء؛ وهما حالتان للنفس، الأولى تدفعه وتوجهه للخير، والثانية تؤذيه على الشر⁽²⁾.

من بين اللوازم التي لا ينفك عنها الإلحاد الجديد بناء على نظرية المعرفة التي يتبناها بخصوص الإنسان، هي الإدعاء بأن أفعال الإنسان ليست نابعة عن إختيار وإرادة حرة، وإنما كل الأفعال المرتبطة بالإنسان هي محظ ترجمة أو نتيجة حتمية لعلميات معقدة في المخ، وبالتالي فإن إحساس الإنسان بالحرية هو عبارة عن وهم.

وقد ألف سام هاريس المتخصص في أبحاث الأعصاب كتاب في موضوع الإرادة الحرة وزعم أن الإرادة الحرة وهم، يقول: "اختياري مهمة، وهناك طرق لاتخاذ قرارات أكثر حكمة، لكني لا أستطيع أن أختار ما أريد أن أختاره، وإذا ظهر أنني قادر على ذلك كالعودة مثلا للوراء لاتخاذ أحد القرارين فإنني لا أختار

⁽¹⁾Richard Dawkins, Sunday Telegraph, 18 October 1998

⁽²⁾ انظر: سامي عامري، الإلحاد في مواجهة نفسه، مرجع سابق، ص 75.

ما أختار أن أختاره، إنه تسلسل يفضي بنا دوما للظلام"⁽¹⁾، ويتبنى الكثير من الملاحظة الجدد هذه النظرية، ويعترفون أنها تنسجم مع الرؤية الكونية المادية التي يتبنونها.

وهذا ريتشارد دوكينز كذلك يعترف بأن نظريته المادية للكون تحمله للميل إلى أنه لا يوجد شيء اسمه الإرادة الحرة، لكنه أكد أنه لم يعمل ذهنه كثيرا في هذه القضية⁽²⁾.

يقول عالم النفس الأمريكي جيمس هلمان مؤكدا هذا التصور الإلحادي لحرية الإرادة: "أن أعيش مؤامرة مكتوبة عن طريق الشفرة الوراثية الخاصة بي، ووراثة الأجداد، والمناسبات المؤلمة في حياتي والحوادث الاجتماعية"⁽³⁾.

وهذا ما عبر عنه البيولوجي الملحد فرنسيس كريك بقوله: "أنت، وأفراحك وأحزانك وذكرياتك وطموحاتك، وشعورك بذاتك وحرية الإرادة، كل ذلك ليس في الحقيقة سوى سلوك تجمع عدد كبير من الخلايا العصبية وجزيئاتها المرتبطة بها"⁽⁴⁾.

ويشترك الكثير من الملاحظة من مختلف التخصصات في هذه الرؤية التي تنسجم كما ذكرنا مع فلسفتهم المادية، ولعل الملفت أن واقع هؤلاء وممارساتهم متناقضة تماما مع هذا التقرير الذي قرروه.

فهذا سام هاريس الذي سبق ذكره وذكر الكتاب الذي ألفه في بيان أن الإرادة الحر مجرد وهم، ينتهي إلى أنه سعيد بهذا الإكتشاف الذي يقدمه بصدق للقارئ، رغم أن هذه السعادة بناء على فلسفته المادية مجرد وهم⁽⁵⁾، ولا معنى لدعوة القراء لقراءة كتابه لأنهم حسب تقريره مجبرون، فإن قررت ذرات أدمغتهم قراءة الكتاب فسيفعلون ولا يحتاج إلى ترغيبهم في ذلك.

(1) عبد الله العجيري، ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق، ص 158.

(2) عبد الله العجيري، ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق، ص 159.

(3) James Hillman, The soul's code (New York, Random House, 1996), p.6

(4) Francis Crick, Astonishing Hypothesis: The Scientific Search for the Soul, p.3.

(5) سامي عامري، الإلحاد في مواجهة نفسه، مرجع سابق، ص 80.

وتسائل سامي عامري بطريقة ساخرة على سبب شكر سام هاريس لزوجته لمساعدتها له في تأليف الكتاب، فزوجته حسب كتابه لا تملك إرادة حرة، وتعجب من فعله، يقول: "لماذا يشكر هاريس زوجته التي لا إرادة لها، ولا اختيار، ولا يشكر طاولته أو لوحة المفاتيح أو الكمبيوتر أو الكرسي الذي كان يجلس عليه حين الكتابة؛ فقد شاركت كل تلك الأشياء -مع زوجة هاريس- في خدمة المؤلف أثناء تأليف الكتاب. إنها كلها أدوات بلا إرادة، وقد أفادت في إعداد الكتاب؛ ولا فضيلة للكرسي الذي لا يملك المؤلف أن يجلس للكتابة دون أن يسند جسمه عليه!"⁽¹⁾

ولا شك أن الملحد كما ذكرنا سابقا يقع في التناقض الذاتي بناء على هذه الآراء التي يتبناها، وفي مثال سام هاريس، نقول إنه وإن ألف كتابه في إنكار الإرادة الحرة، إلا أن أفعاله تناقض ما يقرره، فما معنى أن يشكر زوجته على مساعدتها إياه لولا أنه يؤمن في قرارة نفسه أنها حرة، فمعلوم أن الشكر جاء نتيجة لاختيار الزوجة مساعدته، في حين أنها كانت تملك الإختيار والحرية أن لا تساعدته.

وأغلب الملاحظة إذا لم نقل كلهم اليوم يؤمنون بظرية التطور كركيزة لتفسير نشأة الإنسان، ومن المفروض أن الملحد بناء على هذه النظرية يؤمن أن غريزة البقاء تجبر الإنسان على فعل كل ما من شأنه إبقائه على قيد الحياة، لكننا نجد أمثلة عديدة ينقض فيها هذا الأصل، فنجد الكثير من الناس يقدمون على التضحية بحياتهم من أجل الآخرين، كما يحدث في المعارك العسكرية أو انتشار الأوبئة الفتاكة، بمعنى أن هؤلاء اختاروا الموت (الذي يعني الفناء بالنسبة لهم) من أجل الآخرين، وغلب اختيارهم هذا على غريزة حب البقاء⁽²⁾، وهذا من الأمثلة التي يعجز الملاحدة على إيجاد تفسير لها في ظل الرؤية الجبرية وإنكار حرية الإرادة.

ولإنكار حرية الإرادة لوازم خطيرة، فيمكن للمجرمين أن يعتذروا أو يتحججوا عن جرائمهم بأنهم كانوا مجبرين على أفعالهم، ولا معنى من محاسبتهم بعد ذلك.

(1) المرجع نفسه.

(2) انظر: عمرو شريف، الوجود رسالة توحيد، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط2، 1436هـ-2015م، ص 193.

كما أنه لا معنى لإثابة واستحسان الأفعال الأخلاقية، لأن أصحابها في ظل الرؤية الإلحادية مجبرون على أفعالهم، وبهذا يتساوى في ظل هذه الرؤية القاتل المتسلسل الذي أزهق عشرات الأرواح مع الطبيب الذي أنقذ العدد نفسه من الأرواح.

وهذا ما عبر عنه سامي عامري بقوله: "نفي الإرادة الحرة من لوازم الإلحاد المادي، ومبطل لكل فضيلة أخلاقية أو معرفية يدعيها الملحد"⁽¹⁾.

3- إنكار كرامة الإنسان:

الإنسان في الإسلام له مكانة عظيمة، بل يحتل الإنسان في هذا الكون المرتبة الأعظم، فالله عز وجل خلقه، وفضله على جميع المخلوقات، وجعل كل ذرة في هذا الكون الفسيح مسخرة له، والقرآن الكريم يخبرنا بأن الإنسان خليفة، وهي مرتبة لا تظاهيها مرتبة أي مخلوق خلقه الله عز وجل، ومن كرامة الإنسان أن الله خلقه بيديه وأسجد له الملائكة.

في مقابل هذه الرؤية الإسلامية للإنسان نجد أن رؤية الإلحاد الجديد للإنسان فرد في مملكة الحيوان، تسلب عنه كرامته وقيمته، وهذه الرؤية العدمية للإنسان تلازمه في ظل الرؤية الاختزالية المادية.

يقول الماديون: إن الإنسان هو الحيوان الكامل، ويحتزلون الفروق الكبيرة الموجودة بين الإنسان وسائر الحيوانات، ويقولون أنها هذه الفروق في الدرجة وليست في النوع، فليس هناك جوهر إنساني متميز، وينقل علي عزت بيكوفيتش عن جون واتسون قوله: "إنه لا يوجد خط فاصل بين الإنسان والبهيمة"⁽²⁾.

في هذه الفلسفة المادية الإلحادية يفكك الإنسان إلى أجزائه التي تكونه، ثم يتلاشى في النهاية، وهو فيها عبارة عن نتاج علاقات اجتماعية أو بدقة أكثر هو نتاج أدوات الإنتاج الموجودة، الإنسان في الإلحاد ليس شيئاً يذكر، بل هو مجرد نتاج حقائق معينة، وأصل الإنسان في ظل هذه الفلسفة يرجع إلى

(1) سامي عامري، الإلحاد في مواجهة نفسه، ص 87.

(2) انظر: علي عزت بيكوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا، ط2، 1997م، ص 47.

عمليات طبيعية كيميائية، أما الحياة والضمير والروح فلا وجود لها، وبالتالي ليس هناك جوهر إنساني⁽¹⁾.

وقد فرضت النظرية الداروينية نفسها في الساحة الإلحادية باعتبارها المخرج الوحيد من حجة التصميم الذكي، وبالتالي القول بقوة فوق طبيعية وهي التي يعبر عنها المؤمنون بالإله.

يقول سامي عامري موضحا اللوازم التي أدى إليها استبدال حقيقة الخلق المستقل، والاصطفاء الإلهي للإنسان بالنظرية الداروينية: "لقد أسقط الإلحاد الإنسان المؤمن بالداروينية من عز التكريم الإلهي إلى درك الحيوانية بعد أن سلبه فضيلتين، أولاهما: أن الكون مسخر له؛ وقد خلق الحيوان والنبات لأجله، وله أن يأخذ منهما لتحقيق بقائه ما شاء ضمن حدود تضبطها الشرائع السماوية، وثانيهما: أنه مخلوق بزينة العقل؛ فهو بعقله يرتقي فوق جميع الحيوانات ليكون الكائن الأرضي الوحيد المخلوق لينحت طريقه في الحياة عن إرادة حرة ووعي، ولا غريزة جبرية قاهرة"⁽²⁾

والملاحظ عندما يسلب الإنسان الاصطفاء الإلهي، وما يتبع ذلك من تسخير عالم الأحياء له؛ سيجد نفسه أمام حجج أخلاقية كثيرة تؤؤل للقول بأن الإنسان أدنى أنواع الحياة قيمة؛ ذلك أن المجازر التي ارتكبتها الإنسان في حق الإنسان لا نظير لها بين الحيوانات، بالإضافة إلى المقتلة العظيمة التي يرتكبها الإنسان في حق الحيوانات كل يوم⁽³⁾.

ينقل ستيف ويليامز عن إسحاق سنجر في إحدى قصصه قوله: "لقد أقنعوا أنفسهم بأن الإنسان —أسوأ المتعدين على كل الأنواع الحية— تاج الخلق. جميع المخلوقات الأخرى خلقت فقط لتزوده بالطعام، والجلد، وليتم تعذيبها، وإبادتها. بالنسبة لهذه المخلوقات، كل البشر نازيون"⁽⁴⁾

(1) انظر: المرجع نفسه، ص 48.

(2) سامي عامري، الإلحاد في مواجهة نفسه، مرجع سابق، ص 35.

(3) المرجع نفسه، ص 38، بتصرف.

(4) I.B Singer, The Séance and Other Stories (New York, Straus and Giroux, 1968), p.270

والملحدون كما بيّنا في النقاط السابقة دائما ما يقعون في تناقضات كبيرة، والدليل أنك إذا سألت أي ملحد أو أغلب الملحدين، فإنك ستجده يفرق بين قتل الإنسان لإنسان آخر ويستنكر هذا الأمر بشدة، وستكون ردة فعله أقل استنكارا أو دون استنكار إذا قتل الأسد غزالة أو فريسة ليأكلها، وإذا كان هذا الملحد نباتيا، فالإشكال يبقى قائما، لماذا يستنكر الملحد فعل آكلي لحوم البشر، ولا يستنكر أكل إنسان لتفاحة !!

ويظهر هذا الهدر والإنكار لقيمة الإنسان جليا في الكثير من الممارسات المعاصرة، مثل تقنين الإجهاض وتقنين القتل الرحيم، والتبرع بأعضاء الميت دماغيا، والتسامح والدعوة لإبادة المعاقين والعاجزين، والقول بأن كبار السن عبئ على المجتمع، وغيرها من المظاهر المرتبطة بظاهرة الإلحاد الجديد.

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث خلصنا إلى النتائج التالية:

الإلحاد الجديد هو فلسفة تتبنى نظرية معرفية قائمة على المنهج التجريبي الحسي فقط، وإنكار كل تفسير ميتافيزيقي غيبي للكون، وتتبنى التفسيرات المادية لكل شيء في الكون بما في ذلك الإنسان.

يلزم من تبني الإلحاد الجديد إنكار العقل، والشك النتائج التي يصل إليها، وإنكار المبادئ العقلية الضرورية، والتشكيك في العقل يؤدي إلى التشكيك في كل المعارف الإنسانية باعتراف الكثير من أئمة الإلحاد الجديد.

ويلزم كذلك من تبني الرؤية الإلحادية المعاصرة إنكار حرية الإرادة، فالإنسان حسب تقرير منظري الإلحاد الجديد ليس له قدرة على الإختيار، وكل أفعاله تقع تحت قهر تفاعلات مادية بحتة في الدماغ، وهي دعوى متناقضة، والفطرة السوية وحتى أفعال الملاحدة خارج الإطار النظري تشهد بوجود الإرادة الحرة.

كما يلزم من فلسفة الإلحاد الجديد القائمة في تفسير نشأة الكائنات الحية على النظرية الداروينية إنكار الكرامة الإنسانية، وإنكار قيمة الإنسان ومكانته الأعلى بين سائر المخلوقات، وبالتالي فإن الإنسان في فلسفة الإلحاد مجرد بهيمة تختلف عن بقية البهائم بفروقات مادية كمية ولا يوجد فرق نوعي كما تقرره الأديان السماوية.

المصادر والمراجع:

1. جورج طرابيشي، حرية الاعتقاد الديني، تصنيف وتقديم: محمد كامل الخطيب، دار ورد للنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط1، 2005م.
 2. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت-لبنان.
 3. رونتال يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
 4. سامي عامري، الإلحاد في مواجهة نفسه، رواسخ.
 5. سلطان بن عبد الرحمن العميري، ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية، ط2، 1439هـ-2018م، ج2.
 6. شحاتة صقر، أوهام الملحدون أوهى من بيت العنكبوت، دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية.
 7. عبد الله العجيري، ميليشيا الإلحاد، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية، ط2، 1435هـ-2014م.
 8. علي عزت بيكوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، مؤسسة بافاريا، ط2، 1997م.
 9. عمرو شريف، الوجود رسالة توحيد، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ط2، 1436هـ-2015م.
 10. عمرو شريف، خرافة الإلحاد، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 1435هـ-2014م.
 11. غالب بن علي عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، المكتبة العصرية الذهبية، ط1، 1427هـ-2006م.
 12. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج5.
 13. محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات، ط3، 1430هـ-2009م.
 14. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، المجلد الثالث.
 15. هيثم طلعت، كهنة الإلحاد الجديد، تقديم: عبد الله بن سعيد الشهري.
- المراجع الأجنبية:

1. Francis Crick, Astonishing Hypothesis: The Scientific Search for the Soul, p.3.
2. James Hillman, The soul's code (New York, Random House, 1996), p.6 .
3. I.B Singer, The Séance and Other Stories (New York, Straus and Giroux, 1968),p.270.

4. Richard Dawkins, Sunday Telegraph, 18 October 1998.
5. Thamas Nagel , The Last Word(Oxford : Oxford University Press , 2009), p.135.